المبحث الأول
الديمقراطية

* ماهيتها.
* نشأتها.
* مراحلها.

تمهيد

إن الإنسانية على مر عصورها عاشت تعشق الحرية.. وتتطلع إليها إن مُنعت عنها؛ ومن هنا عاشت الشعوب تتطلع إلى الديمقراطية باعتبارها النظام السياسى الأفضل.. والأمثل الذى يتفق مع ما يبغيه الإنسان من حرية.. وكرامة, ومع ما يتفق وحقه فى المساواة وحرية التعبير رغبة فى حياة أفضل.

* ماهية الديمقراطية:

*** عند اليونان:** كلمة الديمقراطية Democratie (Democracy) وهى كلمة ذات أصل يونانى تتكون من عبارتين يونانيتين هما dems أى الشعب وcrates أى حكم أو حكومة, وكانت عبارة democraties عند اليونان تعنى ممارسة السلطة بواسطة الشعب فى صورة اجتماع يعقد فى المدينة اليونانية القديمة.

*** حديثاً:** إن المعنى المعاصر للديمقراطية في جوهره لا يختلف عن المعنى اليوناني القديم حيث نجد الفقيه الفرنسي الشهير "مونتسيكو" يعرف الديمقراطية بأنها: " النظام الذي يقوم عندما يكون الشعب في مجموعة السلطة العليا في الدولة ". [1]

والديمقراطية كأي نظام مرت بمراحل.. وأطوار حتى انتهت إلى الوضع الذي نراها عليه الآن في الدول ذات النظام الديمقراطي حيث استقرت، وأصبح لها أسس واضحة لا يكتمل النظام الديمقراطي إذا تخلف أي منها, والديمقراطية لها أشكال وأنماط, فهي من ناحية كيفية ممارسة الشعب للسلطة لها ثلاثة أنماط هي:

أولا: الديمقراطية المباشرة.
ثانيا: الديمقراطية شبه المباشرة.
ثالثا: الديمقراطية النيابية.

(1) د. أحمد شوقي محمود - كلية الحقوق - النظم السياسية ص52 وما بعدها (بتصرف)

ومن الضروري أن نوضح مراحل تطور النظام الديمقراطي لتتم الفائدة, ولتكتمل الصورة الصحيحة لهذا النظام, وليتعرف الطلاب على المراحل التي يمر بها النظام بصورة أكثر تفصيلا تنفعهم حين ممارستهم للديمقراطية في برلمانها المدرسي.

الديمقراطية

مرت الديمقراطية بمراحل عديدة تطورت من خلال هذه المراحل إلى الصورة التي نراها الآن, وهذه المراحل هي:

أولا: الديمقراطية قديماً.. تاريخها.. موطنها.. خصائصها.

ثانياً: الديمقراطية المعاصرة.. تاريخها.. موطنها.. أسسها.

ثالثاً: ممارسة الشعب للديمقراطية من خلال مجالسه المنتخبة.

أولا: الديمقراطية القديمة

إن المؤرخين يقصدون بالديمقراطية القديمة ذلك النظام السياسي الذي يؤرخون له قبل الميلاد, وموطنه المدن اليونانية القديمة, ويخصون مدينة " أثينا" دون غيرها من المدن اليونانية القديمة.

وديمقراطية اليونان هي التي قدمت للديمقراطية الحديثة أغلب أسسها الحالية في تولى الشعب للسلطة العليا في الدولة, وأفكار العدالة والمساواة.. والحرية.

وعن نظام الحكم السياسي في المدن اليونانية أنه كان يتدرج من حكم أقلية مستبدة بالأغلبيةOligarchy إلى حكم ديمقراطي يحكم فيه الشعب نفسه بنفسه democracy وجميع ما يتصور من نظام الحكم السياسي كان ممثلا في مدينة أو في أخرى.

"ولما كانت النظم السياسية مختلفة من مدينة لأخرى، فإن نسبة اشتراك الأفراد في الحياة السياسية كانت تختلف وفقاً لدرجة ديمقراطية الحكم السائدة بها. والأفراد الذين يكون لهم الحق في المشاركة في الحياة الرسمية لم يكونوا يبتعدون عن الحياة

السياسية كلية, بل كان عليهم أن يشتركوا فيها بشكل غير رسمي بآرائهم ومناقشة الأحوال الجارية لأن هذا الإسهام في الحياة العامة كان بالنسبة لهم غذاء روحياً حيوياً لا غنى عنه لأي مواطن, حتى أن مرادف كلمة "يعيش" باللغة اليونانية القديمة كان يعنى أيضاً الإسهام في الحياة العامة. فالمعيشة والإسهام في الحياة العامة فعلان مرادفان أو على الأقل متلازمان". (1)

ولكن هناك ملاحظة على النظم السياسية اليونانية القديمة وعلى آراء الفلاسفة وخاصة آراء أفلاطون, وهى أنها لا تتفق مع الديمقراطية الحديثة, لأنه حدد طبقة الحكام بالذات كطبقة مهمتها الحكم وطبقة الجند كطبقة مهمتها الدفاع , وبقية الطبقات للإنتاج.

غير أن هذه الطبقات كلها ليست مقفلة, إذ يستطيع كل فرد إذا كانت مواهبه تسمح بذلك أن يرقى إلى الطبقة الحاكمة وذلك إذا كان من الأحرار, أما العبيد فليس لهم هذا الحق بطبيعة الحال.

ولكن مجمل القول أن الديمقراطية القديمة تعترف بالحرية في التعبير عن كافة الآراء في شأن إدارة المدينة بالدولة التي كانت قائمة آنذاك, وكانت تضع كافة الآراء الحرة على قدم المساواة دون انفراد ولا تمييز في الرأي, وكانت الديمقراطية القديمة تسند سلطة اتخاذ القرار إلى الأغلبية حيث كانت كل أمور المدينة بالدولة مفتوحة للمناقشة بواسطة جميع المواطنين الذين كان لهم الحق في إبداء الآراء والاقتراحات ومناقشتها وقبولها أومعارضتها في حرية تامة, ولكن حين يأتى الوقت لاتخاذ القرار يجرى التصويت على الموضوع محل النقاش, وتحتسب الأصوات, ويؤخذ برأي الأغلبية, وعلى الأقلية المعارضة لهذا الرأي الامتثال لرأى الأغلبية والأخذ به, وتنفيذ القرارات التي تقررها الأغلبية.

(1) د. حسن شحاته سعفان - أساطين الفكر السياسي. والمدارس السياسية ص43، 44، 57 - النهضة العربية.

وكما أن الدول تمر بمراحل, فالنظم السياسية تمر بمراحل أيضاً, والنظام الديمقراطي مر في نشأته بمراحل, وإذا كان كل ما ذكرناه يمثل بعض أوجه التشابه بين الديمقراطية القديمة والديمقراطية الحديثة إلا أن بعض الأوجه والمظاهر كانت قائمة في الديمقراطية القديمة, ولكنها غير موجودة في الديمقراطية الحديثة, ويمكن أن نسوق بعض هذه المظاهر, ومنها ما يأتى:

1- كانت الديمقراطية القديمة ديمقراطية مباشرة حيث كان الأفراد يشاركون بطريقة مباشرة في إدارة شؤون المدينة.

2- لم تكن الديمقراطية القديمة ديمقراطية أغلبية الناس بل المواطن الأصلي من الأحرار البالغين فقط, ويستبعد الأطفال, والنساء, والعبيد, والأجانب, وهؤلاء كانوا يشكلون ما يزيد عن نسبة 85 % من السكان المقيمين في الدولة.

3- كانت الديمقراطية القديمة ديمقراطية حرية الرأي فيما يخص شؤون الدولة, وهذه الديمقراطية لم تعترف بحرية السلوك الفردي في مناحي حياته المختلفة.

أفلاطون والديمقراطية:

كان أفلاطون يعتنق المذهب العضوي في نظريته عن الدولة, فالدولة عنده كالجسم "وحدة عضوية", وهى تعد وحدة يؤثر كل فرد فيها في المجموع, وكان أفلاطون ضد الديمقراطية على خط مستقيم إذ يحتفظ بالحكم لطبقة معينة, وبذلك يبدو لأول وهلة أنه يضحى بمصالح الفرد في سبيل مصلحة الجماعة أو الدولة, فالخير العام عنده هو الأساس, ثم قرر أفلاطون أنه يجب أن تطيع الطبقات الدنيا الحكام بلا أدنى مناقشة أو نزاع حتى" تخضع رغبات الكثرة العامة لرغبات المثقفين القلة وحكمتهم", " ولكن ليس معنى هذا فى رأى بعض المؤلفين أنه ضحى بالفرد فى سبيل المجتمع أو الدولة؛ لأن غرضه الأول كان الوصول إلى إسعاد الفرد عن طريق حرية الدولة

وكمالها, إذ ليس ثمة طريق آخر يستطاع بواسطته إسعاد الفرد فى رأى أفلاطون " [1].

* * * * *

(1) دكتور / حسن شحاته سعفان - أساطين الفكر السياسى ومدارسه - ص 57، 58